مطلب مفيد في عبادة الله حقا

بالخوف والرجا والمحبة فهو موحد مؤمن وسبب هذا انه يجب
على المؤمن ان يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة المحبة والخوف
والرجا ولا بد له من جميعها ومن اخل ببعضها فقد اخل ببعض واجبات
الايمان وكلام هذا الحكيم يدل على ان الحب ينبغي ان يكون اغلب من الخوف
والرجا وقد قال الفضيل ابن عياض المحبة افضل من الخوف ثم استشهد بكلام
هذا الحكيم الذي حكاه وهب وكذا قال يحيى ابن معاذ حسبك من الخوف ما
يمنع الذنوب ولا حسبك من المحبة ابدا واما الخوف والرجا فاكثر السلف
على انهما يستويان لا يرجح احدهما على الآخر قاله مطرف والحسن والامام
احمد وغيرهم ومنهم من رجح الخوف على الرجا وهو محكي عن الفضيل وابي
سليمان الداراني ومن هذا قول حذيفة المرعشي ان عبدا يعمل على خوف
لعبد سوء وان عبدا يعمل على رجاء لعبد سوء فكلاهما عندي سواء ومراده
اذا عمل على افراد احدهما عن الآخر وقال وهيب ابن الورد لا تكونوا كا
لعامل فيقال له تعمل كذا او كذا فيقول نعم ان احسنتم لي من الاجر ومراده
ذم من لا يلاحظ بالعمل الا الاجر وهؤلاء العارفون لهم ملحظان احدهما ان
الله تعالى يستحق لذاته ان يطاع ويحب ويبتغى قربه والوسيلة اليه لعله ووسيلة
مع قطع النظر عن كونه يثيب عباده او يعاقبهم كما قال القائل

هب البعث لم تأتنا رسله ۝ وجاحمة النار لم تضطرم
اليس من الواجب المستحق ۝ حياء العباد من المنعم

وقد اشار هذا الى ان نعمه على عباده تستوجب منهم شكره عليها وحياءهم
منه وهذا هو الذي اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم لما قام حتى تورمت
قدماه فقيل له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فقال افلا اكون عبدا شكورا والملحظ الثاني ان اكمل الخوف والرجا ما
تعلق بذات الحق تعالى كما تقدم دون ما تعلق بالمخلوقات في الجنة والنار فاعلى
الخوف خوف البعد والسخط والحجاب عنه سبحانه كما قدم سبحانه ذكر هذا
العقاب لاعدائه على صليهم النار في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
المحجوبون

المحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم وقال ذو النون خوف النار عند خوف
الفراق كقطرة في بحر لجي كما ان اعلى الرجا ما تعلق بذاته سبحانه
من رضاه ورؤيته ومشاهدته وقربه ولكن قد غلط بعض الناس
في هذا ان هذا كله ليس بداخل في مسمى نعيم الجنة ولا في مسمى الجنة
اذا اطلقت ولا في مسمى النار ولا في مسمى عذاب النار اذا اطلقت و
ليس كذلك وبقي هنا امر آخر وهو ان يقال ما اعده الله في جهنم من انواع
العذاب المتعلق بالامور المخلوقة لا يخافها الا العارفون كما ان ما اعده
الله في الجنة من انواع النعيم المتعلق بالامور المخلوقة لا يحبه العارفون
ولا يطلبونه وهذا ايضا غلط والنصوص الدالة على خلافه كثيرة جدا
ظاهرة وهو ايضا مناقض لما جبل الله عليه الخلق من محبة ما يلايمهم
وكراهة ما ينافرهم وانما صدر مثل هذا الكلام ممن صدر منه في حال سكره
واصطلامه واستغراقه وغيبة عقله فظن ان العبد لا ينبغي له
ارادة اصلا فاذا رجع اليه عقله وفهمه علم ان الامر على خلاف ذلك
ونحن نضرب لذلك مثلا يتضح به هذا الامر ان شاء الله تعالى
وهو ان اهل الجنة اذا دخلوا الجنة واستدعاهم الرب سبحانه الى زيارته
ومشاهدته ومحاضرته يوم المزيد ينسون عند ذلك كل نعيم عاينوه
في الجنة قبل ذلك ولا يلتفتون الى شيء مما هم فيه من نعيم الجنة حتى
يحتجب عنهم سبحانه ويحتقرون كل نعيم في الجنة حين ينظرون الى
وجهه جل جلاله كما جاء ذلك في احاديث يوم المزيد فلو انهم ذكروا
حينئذ شيئا من نعيم الجنة لاعرضوا عنه ولاخبروا انهم لا يريدونه
في تلك الحال وكذلك لو خوفوا عذابا ونحوه لم يلتفتوا اليه وربما لم
يستشعروا المه في تلك الحال وانما يحذرون حينئذ من الحجاب عما هم
فيه والبعد عنه فاذا رجعوا الى منازلهم رجعوا الى ما كانوا عليه من
التنعم بانواع النعيم المخلوق لهم بل يزداد نعيمهم بذلك مع شدة شوقهم
الى يوم المزيد ثانيا فهكذا احوال العارفين الصادقين في الدنيا اذا

Copyright © King Saud University